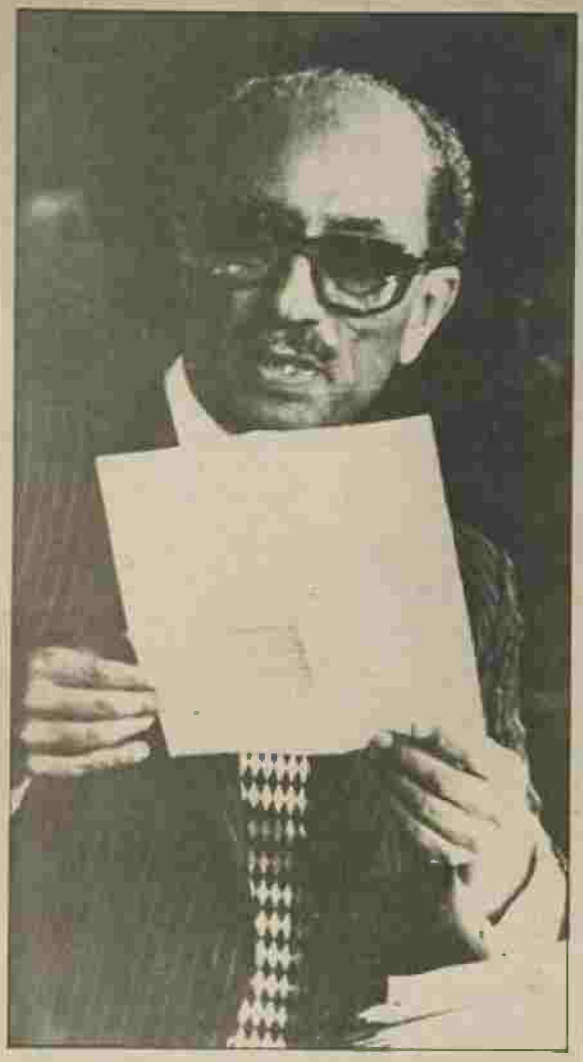

ما لم يقله الرئيس السادات في خطابه بمجلس الشعب

أنيس منصور

١

استهل الرئيس السادات عهده حاكما لمصر، بأن أشعل النار في العار - يوم جمع «الأشرطة المسجلة». وأحرقها في وزارة الداخلية. فقد كانت هذه الاشرطة تسجيلا لخصوصيات الناس، تمهيدا لإذلالهم. هكذا كانت تفعل مراكز القوى. فقد كانت تجعل للحوائط آذانا، وللتليفونات أيضا. وللسقوف عيونا. وكان على رأس مراكز القوى من يجد متعة شاذة في الاستماع إلى الأشرطة والأفلام. (علماء النفس يسمون هذا المرض: النظر من ثقب الباب على الناس في حالة ضعفهم).

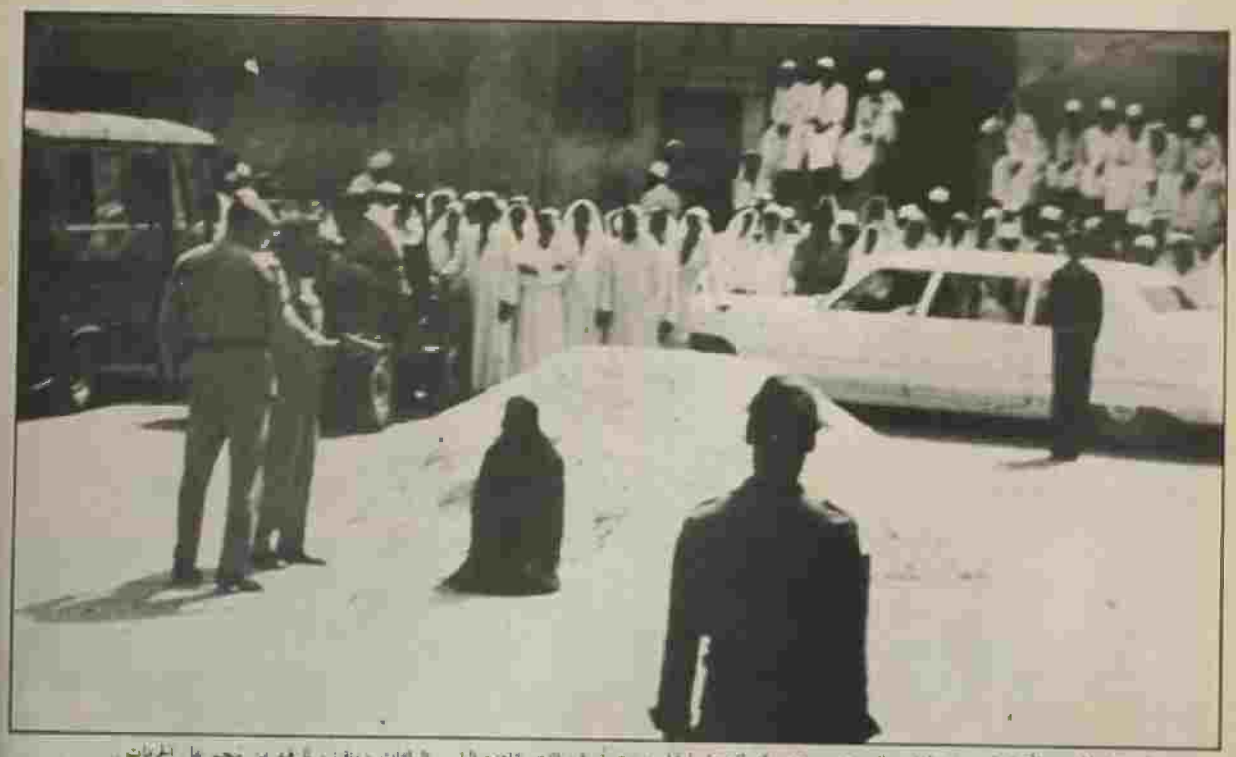

هاتان الصورتان لإعدام الأميرة السعودية والشاب الذى هربت معه . قد قام عليها فيلم « موت أميرة » الذى شاهده الرئيس السادات « وقرر » ما فيه من تجنى على الحريات .

فليس معقولا – إذن – أن يتولى الرئيس السادات بشخصه إنتاج فيلم « موت أميرة » – كما اتهمه بعض شيوخ السعودية . فالرئيس السادات يعصمه من ذلك : أنه فلاح شرقى مسلم .

ولم يكن الرئيس السادات قد رأى فيلم « موت أميرة » ، ولذلك طلب أن يراه فى الأسبوع الماضى . يقول الرئيس السادات : لقد شعرت بالتقزز والقرف ! فقد كان هذا الفيلم انتهاكا للحرمات . واعتداء على قدسية الحياة العائلية ..

ويقول الرئيس السادات : إننى ما كنت أحب أن يشترك القانون المصريون فى هذا العمل الشائن الفاضح . إنها سقطة منهم ولاشك ! ..

ويقول أيضا : أما إذا كان خالد وعبد الله يريان انى رغم كل ذلك قد انتجت هذا الفيلم ، فليس عندى ما أقوله لهم غير أننى رجل أعرف دينى ، وأعرف معنى العيب ، وأحرص على اجتنابه ، وأطالب أبناء وطنى من المصريين أن يعتزموا حريات الآخرين ، أن يضعوا الحدود بين الذى هو عيب والذى هو شرف . بل إننى ذهبت فى كراهيتى للعيب إلى أن دعوت الشعب إلى أن يقى حماية المجتمع المصرى من العيب ! ..

والرئيس يقصد الملك خالد والأمير عبد الله بن عبد العزيز والد الأميرة ما شاء الله . التى يقال إنها أعدمت لأنها هربت مع أحد المواطنين السعوديين إلى لبنان . وفضحها جهاز كشف الأسلحة والمفرقعات . فقد نسيت وهى ترتدى ملابس شاب ، أن تنزع المشابك من رأسها ! ..

وليست مصر فى حاجة إلى مثل هذا الفيلم . فهناك حوادث كثيرة أقوى وأعنف من هذا الفيلم ، حدثت للإخوة العرب فى مصر وفى الخارج (مثلا زواج سعودية من فنان مسيحى ، ومحاولة السعودية خطف هذه الفتاة وإعادتها إلى جدة . . الخ) . . وكان من الممكن نشرها هى وغيرها !

ولكن هذه الاعتبارات الأخلاقية ، ولأن مصر لاتريد أن تضع أنفها فى الأحوال الداخلية للسعودية ، فقد مضى ذلك العهد حين كان العالم العربى ينظر إلى المصرى على انه الشخص القبيح الوجه ، لأنه يجلد على العرب ، ويريد أن يفسد عليهم حياتهم ، ويؤلب طبقاتهم بعضها على بعض . ويطلب نظم الحكم فيها . فهذه قضية لا يحب أن يكون طرفا فيها . ولا يحب أن يكون أحد طرفا فى قضايانا أيضا ! ..

وقد وقع السعوديون فى غلطة ضخمة . فقد تصوروا أن الفلوس الكثيرة فى استطاعتها أن تعميهم . فلم تستطع كل شركات البترول الأمريكية أن تمنع عرض هذا الفيلم فى ١٥٦ محطة أمريكية . ولم تستطع أموالهم أن تمنع عرضه فى بريطانيا – فقد اصطدمت الفلوس السعودية بالحريات المسموحة والممنوحة لوسائل الإعلام فى العالم الغربى ..

دولة واحدة فى العالم كانت أسرع فى تجاوز هذه الأزمة . هى السويد . فقد تولت إحدى الشركات شراء حق عرض الفيلم فى السويد . ثم وضعت الفيلم فى إحدى خزائنها – حماية لمصالح السويد فى السعودية ! ..

وفى مصر باع هذا الفيلم لخمسين جنيها . وتشاهده بيوت كثيرة . وأول من يشتريه من مصر : أشقاؤنا السعوديون . وقد بلغ عدد الكاسيتات المسجلة لهذا الفيلم ٦٥٠ تسجيلا . كلها طارت إلى الخليج . وقد ألقى القبض على أحد المواطنين وهو يقوم بطبع هذا الفيلم وتسويقه مع أفلام أخرى مخلة بالآداب العامة ! ..

٥٥٥

٢ ولقد كان من شدة حرص الرئيس السادات على « مصارحة » الشعب المصرى وتحذيره أيضا . أن استعرقت الفتنة الطائفية

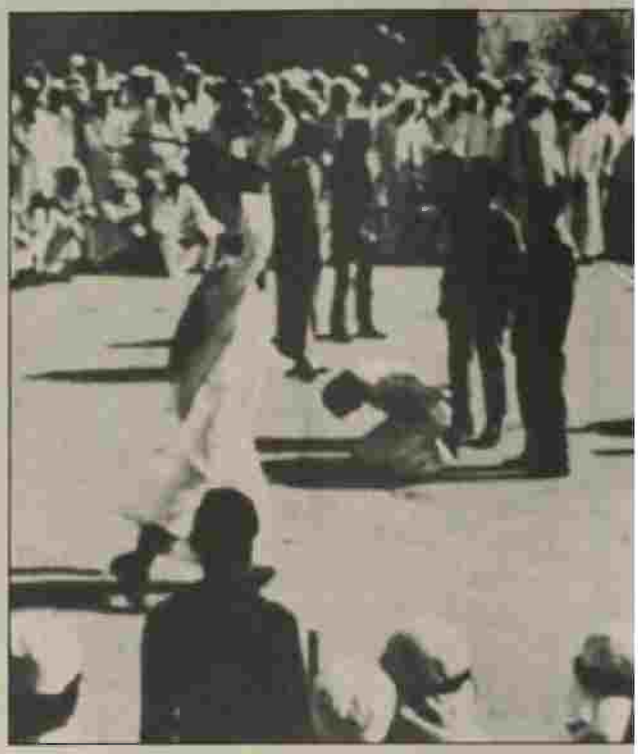

أكمر حديثه إلى الشعب . وبقدر ما كان هذا الجانب من الحديث طويلا . كانت راحة الناس أيضا . فقد حس الرئيس السادات قضية ملأت النفوس بالضيق من أية محاولة لتخريق مصر التى عاشت متسامحة فى دينها وسياستها مع نفسها ومع غيرها ..

ويقول الرئيس السادات : إنه ليس من الحرية الدينية التى نصت عليها المادة ٤٦ من الدستور . أن يثير عدد من المتعصبين الذين الطائفية بصورة « دورية » — أى عندما تتاب مصر محنة . أو أقوم بالسفر إلى الخارج خلق أزمة وطنية أو قومية ..

وليس من حرية الدين أن يقوم فى مصر « فاتيكان قبطى » له سفراء فى الخارج،ويحكم دولة مسيحية معادية لدولة إسلامية . وبذلك تصبح مصر « لبنان » آخر . وإذا كان أحد يتمنى ذلك لمصر . جهلا وسوء نية . فليظر إلى ما أصاب لبنان بسلاح أبنائها ! ..

ولا يستطيع أى قبطى فى مصر أن يقارن بين السعادة والراحة والتسامح الذى يعيشه الآن . وبين أى وقت مضى — ولاداعى لأن تتقلب المواجع والخروج فى عهود سابقة ! ..

ويقول الرئيس السادات : وليس من الحرية الدينية أن يتظاهر بعض خطباء المساجد بالشجاعة . فيتطاولوا على القادة والحكام . ويشتموهم بغير حق . لاالشىء إلا لكى يحظوا بتصفيق العوام . مأأقسى هذه التضحية : إنهم يضحون بالحق والصدق وأمانة الدعوة . من أجل أصوات تنطلق من أبدى الجهلاء ..

والقرآن الكريم يعلمنا آداب الوعظ والإرشاد . يقول تعالى : ﴿ ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتى هى أحسن ﴾ ..

وفى الشريعة الإسلامية علماء كبار طالبوا بحماية المجتمع بالحجر على « القاضى الماجن والطبيب الجاهل والمفاول المفلس » . وذلك حرصا على سلامة أرواح الناس وأبدانهم وأموالهم .

وليس من حرية الإيمان أن يتحول بعض العوام السذج إلى قادة وأمراء . وتنقلب الأوضاع فى أيديهم . فيصبح التلميذ الجاهل أستاذا لأستاذه العالم . ولايكفى بذلك . بل إنه يقوم « بتكفير » العالم وتجريده ثم القضاء عليه — كما حدث لقضية الشيخ الذهبى ! ..

وليس من الإسلام فى شىء أن يصبح مرضى الحقول والنفوس هم هداة الأصحاء . فيفرضوا عليهم ذوقهم المريض . ويحرموا الحلال . ويحلوا الحرام . فيكرهوا الموسيقى والغناء والشعر وكل الفنون ..

لقد احتاط علماؤنا الأمر عندما وجدوا أن القرآن ينفى عن الرسول عليه السلام أنه شاعر . وأن القرآن الكريم من نظمه . فالقرآن وحى من الله إلى أكرم وأعظم مخلوقاته : محمد ﷺ ..

والقرآن يقول : ﴿ وما علمناه الشعر وما ينبغى له ﴾ . ﴿ وما هو بقول شاعر ﴾ فإذا ليس الى شاعر ؟ ..

قال تعالى : ﴿ والشعراء يتبعهم الغاوون . ألم تر أنهم فى كل واد يهيمون . وأنهم يقولون مالايفعلون ﴾ ..

ولكن الرسول عليه السلام يقول : إن من البيان لسحرا .

والبيان هو الأدب والشعر والفنون الأخرى السامية . لأنها تسحر الإنسان وتمتعه ..

وقال الإمام حجة الإسلام الغزالى : « من لم يحركه الربيع وأزهاره . والعود وأوتاره . فهو فاسد المزاج . ليس له علاج ! » ..

أى أن الذى « لايحركه الأنعام فهو من الأنعام » .

وليس بين علماء المسلمين وفلاسفتهم من يرقى إلى مستوى العقل والذوق والإيمان الذى بلغه الإمام الغزالى . الذى وسع عقله كل العلوم فى زمانه . والذى امتلأ وجدانه بكل تجارب الصوفية ! ..

وليس من الدين الإسلامى أو المسيحى أيضا . من يؤسس جماعات ليس لها سند قانونى . وفى هذه الجماعات يتحول الناس الطيبون السذج . باسم الفهم الزائف للدين . إلى بيغاوات يكررون مايلقنون . فكأن هذه الجماعات قد جردت الإنسان من أعظم ماأعطاه الله : عقله .. ثم شحنته بالكراهية والحقد . ليناصب العداء أروع ماخلق الله : الإنسان .. أخاه الإنسان فى الدين والوطن ! ..

وليس من الأمانة الدينية فى شىء . أن تنشر بين هذه الجماعات أفكار خاطئة عجيبة . هذه الأفكار تجىء فى كتب مستوردة تقول للناس : إن الأرض ليست كروية ! ..

ونرى من جديد — مع الأسف — ماأفتى الشيخ شخيوط شيخ أبو ظبى السابق عندما رأى الهلال . فقال : مستحيل أن يهبط الإنسان على الهلال . فلا يوجد به مكان .. ثم إنه لايستطيع أن يتسلط فى أطواقه الذرية ! ..

ويقول الرئيس السادات : وهذا لايعنى « التوازن » بين الأغلبية المسلمة وبين المسيحيين . فأنا حاكم مسلم لدولة مسلمة . وكل مأأريد هو المصارحة والإعذار . وقد أعذر من أنذر . وقد أنذر من أعذر أيضا ! ..

ويقول الرئيس السادات أيضا : ليس من الحرية الدينية هذا السباق فى بناء المساجد والكنائس . بصورة غير مشروعة دون تخطيط سليم . ولكن لمجرد التظاهر أو الإثارة أو الاستفزاز ..

فالمسلمون يبنون مساجدهم أحيانا فى مناطق مكدسة بالمسيحيين .. والمسيحيون يحرصون على بناء كنائسهم فى مناطق مكدسة بالمسلمين . أو لا يكاد مسلم يبنى مسجدا حتى يسارع مسيحى ببناء كنيسة إلى جواره أو على مقربة منه ..

وليس من الإسلام ولا المسيحية إزعاج الناس بميكروفونات المساجد وأجراس

الكنائس .. فين الناس : ماتوا ومرضى وطلبة بذاكروا . فليس الذين صياحا ودويا إنما الذين أحنى وأروع وأكثر رعاية للناس واحتراما لمشاعرهم .. والدين يسر ..

كما أن التعصب هو « عمى الألوان » المذهبية والدينية .. ولاتعصب فى الإسلام . فالقرآن الكريم يقول : لكم دينكم ولى دين ..

وكان عمرو بن العاص بأمر بناء الكنائس التى سبقت الفتح العربى لمصر . فهو الذى أنشأ كنيسة جديدة للقديس مكاريوس فى وادى النطرون . وهو الذى أقام كنيسة القديس مار مرقص – وهو راعى مدينة البندقية الذى نقلت رفاته أخيرا من الإسكندرية . وعمرو ابن العاص هو الذى أقام كنيسة حارة الروم . فى مدينة الفسطاط ..

ولانهاية للأمثلة على التسامح الإسلامى فى مصر ..

وفى الأيام الأخيرة بادر زعماء الكتائب اللبنانية بنفى أن عددا من أفراط مصر قد حارب فى صفوفهم . وعزز النفى ويعز عليها أن تقول : إن هذا التكذيب ليس صحيحا ..

فقد استطاعت لبنان بتمزقها وتخريبها وتناحرها . أن تنقل عدواها إلى نفوس ضعيفة ومزورة فى مصر .. فتحمل السلاح فى وجه لبنان . مشاركة فى هدمه – لأنها عجزت عن هدم مصر .. أمنا العزيزة علينا . مسلمين ومسيحيين ! ..

٣ ثم « توقفت » المفاوضات بين مصر وإسرائيل وأمريكا .. ولم « تنقطع » .. فقد أعلن الرئيس السادات عن حاجته لإعادة الحساب والنظر إلى الوراء .. إلى بداية الطريق . والتطلع إلى الأمام لاستجلاء الهدف ..

وقد كانت ولاتزال أمريكا طرفا ثالثا . فعلى أيام كيسنجر حررت أمريكا « دبلوماسية المكوك » – أى ذهابا وإيابا بين مصر وتل أبيب . والآن تجرب سول ليتوفتس « دبلوماسية الأساسيز » صاعدا من الدور الثانى حيث الوفد الإسرائيلى . إلى الدور الرابع حيث الوفد المصرى . فى فندق أكاديا بمدينة هرتسلية . فهل كان فى استطاعة أمريكا أن تضغط أكثر . أى أن تكون إنجابية أكثر ؟ ..

نحن لانعرف بوضوح . ولكن الشىء المؤكد أنها لم تتقدم كثيرا ..

وقبل خطاب الرئيس السادات فى مجلس الشعب . اتصل به الرئيس كارتر فى الاسكندرية . واستغرقت المكالمة التليفونية نصف ساعة . شرح فيها الرئيس موقف مصر . وخوفه من أن يؤدى التعنت الإسرائيلى إلى إفساد خطوات السلام . وشرح له الرئيس الأمريكى وجهة نظره . وأمله فى قليل الصعوبات .

ووعد الرئيس السادات باستئناف المباحثات . بعد أن تعلن مصر موقفها فى بيانها الذى أصدرته يوم الخميس الماضى ..

وفى هذا البيان حذرت مصر من المناورات السياسية فى إسرائيل . وأوربا العالم على المفاوضات نفسها . وعلى موقف مصر ..

وفى نفس الوقت احتلت اسرائيل بمرور ١٣ عاما على إعلانها للقدس مدينة موحدة وعاصمة لإسرائيل – أى حسب التقاليد الدينية اليهودية . فقد بلغت القدس سن الرشد ! ..

ثم بدأت المناورات الخريفية ..

فقد تقدمت السيدة جولدا كوهين عضو حزب « العمل الإسرائيلى » لاستصدار قرار من جديد . بأن تكون القدس « عاصمة موحدة للدولة » .. وعلى الرغم من أن هذا لايقدم كثيرا فى شىء . فإنها ماضية فى اتهام السيد بيجين بالخيانة لأنه ترك سيناء . وعدا بترك الضفة والقدس !

وقد أرسل الرئيس السادات رسالة إلى الرئيس كارتر بالموقف المصرى بمنتهى الموضوعية والدقة . ورسالة أخرى إلى رئيس وزراء إسرائيل

ويوم الثلاثاء القادم فى واشنطن يستقبل د. مصطفى خليل نائب رئيس الحزب الوطنى الديمقراطى . مع سول ليتوفتس المبعوث الأمريكى الخاص للشرق الأوسط . وسوف يعرض د. مصطفى خليل الموقف المصرى والمشاورات المصرية بالتفصيل ..

ويلاحظ الرئيس السادات أن العرب وإسرائيل قد التقوا أخيرا فى وجهة نظر واحدة ..

فالعرب الذين يحسنون الظن يقولون : كى مصر ماحصلت عليه من أرضها . وتترك القضية الفلسطينية للدول العربية أو الدول الأوربية تجرب حظها ! ..

وهذا يتطابق مع الذى قاله السيد بيجين للرئيس السادات فى كامب دافيد . فقد قال له : لماذا توجع قلبك مع الفلسطينيين ؟ .. نحن نعرفهم أكثر منك . لماذا لا تشغل نفسك بالسلام مع إسرائيل ؟ .. وعلى بقية العرب أن يتدبروا بأنفسهم . وذلك بالطبع مجانا ! ..

أى أن العرب وإسرائيل يريدون أن تكفل مصر بالخل المفرد

أما العرب الذين يحسنون الظن فهم يقولون : إن توقف مفاوضات الحكم الذاتى كان متوقعا من قبل . لماذا يهم مصر مادامت قد حصلت على أرضها ؟ ..

أى أن مصر قررت منذ البداية أن يكون لها حل منفرد مع إسرائيل ..

وبنى هؤلاء . سيئ النية . أن الرئيس السادات قد أعلن فى خطابه فى الكنيست . أنه لم يأت بحل منفرد . وأنه لم يأت لكى استدل ثالث . وأنه ماجاء للسلام جزئى . إنما جاء من أجل السلام الشامل . والسلام شاملا دون حل للقضية الفلسطينية !

وردا على تصريحات السيد بيجين بأنه ليس فى إمكانه أن يقدم أكثر .. وردا على تهديدات السيد شارون بتوسيع المستوطنات . وماأعلنه فى محادثات هرتسلية . من أن لدى إسرائيل برنامجا لثلاثين عاما قادمة لبناء مستوطنات جديدة . وردا على المناورات البريطانية . وتقديرا لما قاله السفير الأمريكى سول ليتوفتس من « أن المسافة بين الطرفين واسعة . حتى ليخاف الإنسان أن يمشى بينهما . دون مغامرة حقيقية » – فإن الملابسات التى ضاعفت من الخوف والشك واليأس عند الملايين التى تحلم بالسلام . كان لابد من التحذير من نتائج التعنت الإسرائيلى

وكل شىء يدل على أن طريق السلام صعب . كانت فيه مصاعب . وسوف تبقى . ولكن بالأمل والإصرار وصدق النية والحوار . لابد أن نجد طريقا . وإذا فى موسى عليه السلام قدوة حسنة . فقد كان يشعل النار ليلا ليرى . ويرفع الدخان عمودا نهارا ليهتدى ..

النبى الزمن الذى نخرج فيه على مشاكلنا تكبر دون حل . وجاء الزمن الذى نقترب فيه من المشاكل لنراها أوضح . تمهيدا لحلها .. ولابد من استئناف المفاوضات . طريقا إلى الحل .. ■

أنيس منصور